

رمضان موسمٌ عظيم

الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَرَضَ عَلَيَّ
عِبَادَةَ الصِّيَامِ؛ لِيُطَهِّرَهُمْ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْآثَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، يَقْبَلُ مِنْ عِبَادِهِ الْخَالِصَ مِنْ
الطَّاعَاتِ، وَيَرْفَعُ بِالصِّيَامِ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَأَدَّى

شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ اهْتَدَى
بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي بَلَّغَكُمْ شَهْرَ الصِّيَامِ الَّذِي كُتِبَ
عَلَيْكُمْ لِتَحْقِيقِ تَقْوَاهُ، وَمَنْ عَلَيَكُمْ بِمَا فِيهِ
مِنَ الْفَضَائِلِ الْمُبْلَغَةِ رِضَاهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وَفِي آخِرِ

آيات الصيام يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿فَالصِّيَامُ
شُرْعَ تَطْهِيرًا لِلنَّفْسِ وَتَرْبِيَةً، وَإِصْلَاحًا لَهَا
وَتَرْكِيَةً، يُنْمِي فِيهَا الْمُؤْمِنُ إِرَادَتَهُ، وَيُقَوِّي
عَزِيمَتَهُ، يَقُودُ نَفْسَهُ وَلَا تَقُودُهُ، كَيْفَ لَا؟
وَقَدْ أَمْسَكَ عَنِ الْمُبَاحَاتِ؛ فَأَوْلَى أَنْ يَقْوَى
عَلَى تَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ. فكلما همَّ الصائمُ
بمعصيةٍ فليَتَذَكَّرْ أَنَّهُ صائمٌ فيمتنعُ عنها؛
ولهذا قال ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا

صَائِمًا؛ فَلَا يَرَفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنَّ أَمْرًا
شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي
صَائِمٌ»، فَأَمَرَ ﷺ الصَّائِمَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا لَهُ
عَلَى أَنْ الصَّائِمَ مَأْمُورٌ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ السَّبِّ
وَالشَّتْمِ، وَتَذْكَيرًا لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ مُتَلَبَسٌ بِالصِّيَامِ
فِيَمْتَنَعُ عَنِ الْمَقَابَلَةِ بِالسَّبِّ وَالشَّتَامِ.
فَرَمَضَانُ فُرْصَةٌ لِتَحْرِيرِ الْقَلْبِ مِنْ أَغْلَالِ
الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ، وَالغَضَبِ وَالْإِنْتِقَامِ.

فمن حكم الصيام: إمساك النفس عن
شهواتها، وفطامها عن سيئ مألوفاتها، فهو
لجام المتقين، وجنة الأبرار والمقربين ﴿فنعمة
أجر العاملين﴾، فإذا أطلق المرء لنفسه
عناها أوقعته في المسالك الرديئة، وإذا أخذ
بالزمام ونحّاهما عما يلام قادهما إلى أعلى
المطالب العلية.

فرمضان فرصة للتحرر من أثقال الذنوب،
بالتوبة إلى علام الغيوب؛ والمحروم من

حُرْمَ التَّوْبَةِ، فِي شَهْرِ الْمَغْفِرَةِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ
انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ». إِنَّ رَمَضَانَ فُرْصَةٌ
لَتَرِكَ مَا لَا يَعْنِي؛ وَقَدْ كَانَ السَّلْفُ إِذَا
صَامُوا؛ جَلَسُوا فِي الْمَسَاجِدِ وَقَالُوا: (نَحْفَظُ
صَوْمَنَا، وَلَا نَغْتَابُ أَحَدًا).

فِي رَمَضَانَ تَتَجَلَّى مُرَاقِبَةُ الْخَالِقِ، وَقَدْ قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ،
الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ،

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا
أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي،
وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ» متفقٌ عليه. وَالجُنَّةُ هِيَ
الْوَقَايَةُ وَالسِّتْرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الصَّوْمُ كَذَلِكَ
لَأَنَّهُ إِمْسَاكٌ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَالنَّارُ مُحْفُوفَةٌ
بِالشَّهَوَاتِ، فَإِذَا كَفَّ الصَّائِمُ نَفْسَهُ عَنِ
الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ فِي الدُّنْيَا كَانَ ذَلِكَ سِتْرًا
لَهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ.

عباد الله.. ومن حَكَمِ الصيام: أن يَعْرِفَ
الغنيُّ قدرَ نعمةِ اللهِ عليه وقد حُرِمَ كثيرٌ من
الخلقِ، فيحمدُ اللهَ على النِّعمِ ويشكُرُ،
ولإخوانه الفقراءِ يذكُرُ، فيجودُ عليه
بالصدقةِ. فرمضانُ فُرصةٌ للعطاءِ والبذلِ!
وقد « كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا
يَكُونُ فِي رَمَضَانَ » متفقٌ عليه. قال ابنُ
القيِّم: (لَمَّا كَانَ الْبَخِيلُ مَحْبُوسًا عَنِ
الْإِحْسَانِ؛ فَهُوَ ضَيْقُ الصَّدْرِ، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ

يَتَصَدَّقَ مَنَعَهُ بُحْلُهُ؛ فَبَقِيَ قَلْبُهُ فِي سِجْنِهِ!
وَالْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ انْشَرَخَ قَلْبُهُ).
فَيَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ: أَنْ يَتَفَقَّدَ الْمُحْتَاجِينَ؛
وَأَنْ يَحْذَرَ مِنَ الْمُحْتَالِينَ، وَأَنْ يَبْدَأَ فِي صَدَقَتِهِ
بِالْمُقَرَّبِينَ؛ قَالَ ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَى
الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ
ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ». فَيَنْبَغِي عَلَى
الْمُسْلِمِ: أَنْ يَتَفَقَّدَ الْمُحْتَاجِينَ؛ وَأَنْ يَحْذَرَ مِنَ
الْمُحْتَالِينَ، وَأَنْ يَبْدَأَ فِي صَدَقَتِهِ بِالْمُقَرَّبِينَ؛

قال ﷺ: (الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ،
وهي على ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ،
وصِلَةٌ).

ولَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنَ الصَّوْمِ: نَفْسَ الْجُوعِ
وَالْعَطَشِ، بَلْ مَا يَتَّبَعُهُ مِنْ تَطْوِيعِ النَّفْسِ
الْأَمَّارَةِ، وَالْإِنْتِصَارِ عَلَيْهَا، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ
رِقِّهَا! قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ،
وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ
يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» رواه البخاري.

قال ابنُ القَيِّمِ: (الْحُرُّ الْمَحْضُ: هُوَ الَّذِي
قَهَرَ شَهْوَتَهُ وَنَفْسَهُ وَمَلَكَهَا: فَانْقَادَتْ مَعَهُ،
وَذَلَّتْ لَهُ، وَدَخَلَتْ تَحْتَ حُكْمِهِ).

قال ابنُ رَجَبٍ: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَجْتَمِعُ لَهُ
- فِي شَهْرِ رَمَضَانَ - جِهَادَانِ لِنَفْسِهِ: جِهَادٌ
بِالنَّهَارِ عَلَى الصِّيَامِ، وَجِهَادٌ بِاللَّيْلِ عَلَى
الْقِيَامِ).

وَمِنْ وَصَايَا رَمَضَانَ: الْحَذْرُ مِنَ التَّبَاهِي أَوْ
الْإِسْرَافِ فِي مَوَائِدِ الْإِفْطَارِ؛ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ﴾.

عباد الله الصائمين: مَنْ قَامَ بِحَقِّ رَمَضَانَ،

وَاجْتَهَدَ فِيهِ -إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا-؛ حَرِيٌّ أَنْ

يَتَحَرَّرَ مِنَ السِّجْنِ الْأَعْظَمِ: بِالْعِتْقِ مِنْ

النِّيرَانِ، وَالْفُوزِ بِالْجَنَانِ! فِي شَهْرِ رَمَضَانَ:

«يُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ

الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ

كُلَّ لَيْلَةٍ».

فَهَذِهِ فُرْصَةٌ سَنَوِيَّةٌ؛ لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ؛

فَالْجَنَانُ مُفْتَحَةٌ، وَالنِّيرَانُ مُغْلَقَةٌ، وَالشَّيَاطِينُ

مُصَفَّدَةٌ، قَالَ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ:

فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ

جَهَنَّمَ، وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ» متفقٌ عليه.

فَاغْتَنِمُوا الْأَوْقَاتِ، فِي مَوْسِمِ الْخَيْرَاتِ،

وَاحْذَرُوا دُعَاةَ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ!

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الصَّائِمَ مَرْجُوٌّ الْإِجَابَةِ، وَأَنَّ

شَهْرَ رَمَضَانَ مَرْجُوَّةٌ دَعَوَاتُهُ. قَالَ ﷺ:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

وهذه الآيةُ جَاءَتْ بَيْنَ آيَاتِ الصِّيَامِ! وَقَالَ

ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ

الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ».

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ

كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

الرَّحِيمُ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى
تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد:

فَإِنَّ هُنَاكَ أَسْخَاءً قَدْ يَقَعُ فِيهَا بَعْضُ
الصَّائِمِينَ، فَمَنْ ذَلِكَ التَّهَاؤُنُ فِي آدَاءِ
الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ فَأَيْنَ أَثَرُ الصَّوْمِ عَلَيْكَ
— يَا عَبْدَ اللَّهِ — وَأَنْتَ نَائِمٌ عَنِ صَلَاتِكَ؟

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ أَنَّ بَعْضَ الصَّائِمِينَ يَقْضُونَ
لَيَالِي رَمَضَانَ فِي الْقِيلِ وَالْقَالِ وَاللَّعِبِ
وَاللَّهُوِ وَالتَّسْوِقِ وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ مَعَ أَنَّ
لَيَالِي رَمَضَانَ مُبَارَكَةٌ يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ
يَقْضِيَهَا فِيمَا يَقْرُبُهُ إِلَى الْمَلِكِ الْعَلَامِ.

وَبَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ.. فَإِنَّ الصِّيَامَ لَيْسَ عِذْرًا فِي
التَّقْصِيرِ فِي الْإِنْتِظَامِ الدِّرَاسِيِّ، أَوْ أَدَاءِ
الْعَمَلِ الْوِظِيفِيِّ؛ فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ، وَأَدَاءَ
وَاجِبِ الْعَمَلِ؛ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ فِي هَذَا

الشهر، إذا استَحَضَرَ المسلمُ نِيَّةَ التَّقَرُّبِ إِلَى
الله، وَنَفَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَطَلَبَ الْحَلَالَ،
والتَّعَفَّفَ عَنِ السُّؤَالِ؛ فَمَنْ اسْتَشْعَرَ هَذِهِ
الْمَعَانِي؛ تَحَوَّلَتْ الْعَادَاتُ إِلَى طَاعَاتٍ ﴿قُلْ
إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾. ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.